فلسطين في الشعر الجزائري
خلال الفترة 1954ـــ2000

د. كمال عجالي
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
جامعة باتنة

فلسطين في الشعر الجزائري من 1954-1962

اندلعت الثورة التحريرية في الجزائر في غرة نوفمبر 1954م، وحمي وطيسها وطال كل الربوع؛ و التف حولها الشعراء إلى جانب إخوانهم من المواطنين. وغدا الشعر يحدو ويغني للثورة أمجادها وبطولاتها، واتحدت الرصاصة و الكلمة نحو هدف نبيل واحد. غير أن الشعراء الجزائريين في هذه الظروف الصعبة سنوات الثورة لم ينسوا يوما إخوانهم العرب وما يربطهم بهم من واجبات وحقوق قومية و إسلامية.

"وإذا كان الشعر العربي الجزائري قد اهتم بمجريات الأحداث داخل الوطن واهتم بالقضايا الوطنية الصميمة فهو لم ينس القضايا القومية الأخرى فقد تحدث عن مشاكل الشرق العربي وخاصة مشكلة فلسطين ... إن هذه الفترة التي

غلا فيها مرجل الشعب وطغت عليه الحوادث الجارفة لم تنسه القضايا الأخرى القومية وحتى الأفريقية الأخرى".[1]

لقد اعتبر الشعراء الجزائريون ثورة التحرير ثورة لكل العرب وعدوا انتصارها انتصار لإخوانهم وأشقائهم في كل الأقطار العربية؛ وخاصة منهم من هم في فلسطين فقال أبو القاسم سعد الله :

مِنْ فَمِ الأَطْلَسِ نَشْدو وحْـــدَةً لَا تفْصـــمْ
مِنْ فَـــمِ الأطْلَسِ نَشْدو : ثَأْرَنَا الْمنْتَقِـــمْ
مِنْ فَـــمِ الأَطْلَسِ نَشْدوا : يَا فِـــلَسْطِينْ الدمْ
مِنْ هـــنا مِـــنْ قمة مَشْحونَـــةٍ بالثائـــرِيـــنَ
مِنْ هنَا من مَشْرِقِ الْبَعْـــــثِ الْمَـــجِيدْ
مِنْ ذرَى الأطـــلَسِ صَخَابِ الْنِـــــدَاء
سَـــــوْفَ يَمْـــتَدِ الْفِـــــــدَاءْ
لِفلَسْطـــــينَ الَّـــتِي تَتْلو الـــــــولاَءْ.[2]

ويذهب حمار إلى أن محنة الجزائر ومحنة فلسطين واحدة وأن ما يعانيه الشعب الجزائري لا يختلف عما يعانيه الأشقاء في فلسطين بسبب الاستعمارين

---

[1] الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص 29 ، وكذلك انظر، عبد المالك مرتاض، التجربة الشعرية الحديثة في الجزائر {1962-1990}، مجلة الآداب ع 05 س 1421هـ / 2000م، ص 231.

[2] أبو القاسم سعد الله، ثائر وحب، ص 29.

الفرنسي والصهيوني. ثم يوجه النداء للعرب حتى يساعدوا الثورة الجزائرية لأن نتائج نصرها ستعود على العرب قاطبة في المغرب و المشرق :

في فِلَسْطِينَ عَزِيمة مَكْبوتَة كَاللَّيْث تَزْأَر دَاخِلَ الْأَغْوَارِ
وَ الْمَغْرِب الْعَرَبِي مَنْدَلِع كَمَا يَتَفَجَّر الْبُرْكَان بَعْدَ حِصَارِ
يَا شَرْق مدَّ لَنَا يَدَيْكَ فَإِنَّنَا إِنْ لَمْ تؤَازِرْنَا بِلاَ أَنْصَارِ[1]

في هذه السنوات برز الإحساس القومي بشكل واضح وصريح أكثر من ذي قبل وتبلور الفكر القومي عند الجزائريين، بعد أن ظهر الكيان الصهيوني في شكل دولة مدعومة من القوى الاستعمارية و الإمبريالية و الصهيونية العالمية. وقد لعب الفكر القومي دورا بارزا في توضيح الرؤية تجاه الاستعمار بكل أشكاله، وأشعل الإحساس بوحدة المصير مع الاخوة العرب. لأن "هذا الإحساس نابع من أن فكرة القومية في العصر الذي نعيشه إنما هي تحرك الشعوب وهي لا تمثل فكرة عنصرية وإنما تمثل إحساسا مشتركا في الخير و الضر معا".[2]

وحين بدأ الجزائريون يشعرون بأن القضية الفلسطينية تتجه نحو مصير مشؤوم إذا بقي الحال على ما هو عليه من التخاذل و التباطؤ في نصرتها، فإن مآلها لا قدر الله سيكون كمآل الأندلس التي ما زال جرحها ينزف دما في قلب كل عربي وكل مسلم غيور. فقال الشاعر الكبير مفدي زكريا :

وَيَا قُدْسًا بَاعَه آدَم كَمَا بَاعَ يُوسُفَ الْعَالِيَهْ
وأضحى ابنه بَيْنَ إِخْوَانِه لُقْبَه الْعُرْب بِالْجَالِيَه

---

[1] خمار، إرهاصات سرابية، ص 72.

[2] الركيبي، قضايا عربية، ص 75.

فَلَسْطِينَ وَ الْعرب فِي سَكْـرَةٍ قَـد انْحـدَروا بِكَ لِلْهَاوِيَه[1]

ولكن الشاعر مفدي زكرياء لا يستسلم و لا يفشل و لا ينشر الشعور بالهزيمة و لا يذيع الخور في النفوس، بل على العكس من ذلك كله، فالرجل كان يرى أن فلسطين في قلب كل عربي وقلب كل جزائري. وإن الثورة الجزائرية ستكون بداية التحرير للشعوب المقهورة في البلاد العربية وغيرها.

فَلَسْطِين فِي صلْبِنَا لحْمـَـةَ جـراحَاهَا فِي الْحَشَى ثأْوِيَهْ
عروبَتنَا فِي ضَمِيرِ الْبَقـَـا وَشَائـج رَاسخـَـةَ رَاسِيَهْ
فَلَسْطِينَ فِي أَرْضِنَا بَعْثـُهَا وَمِنْ أَرْضِنَا تَزْحَف الْحـَـامِيَهْ
وَمِنْ أَرْضِنَا نقْطَة الانْطِلاقْ وَتَوْرِتْنـَا حَجْـر الْـزاوِيَهْ[2]

و الشعور نفسه نجده عند الشاعر صالح خرّفي؛ الذي يوحد بين أهداف الثورة في الجزائر و القضية الفلسطينية، و لا ينسى إخوانه العرب في مصر و ما يلاقونه في بور سعيد من غدر القوى الإمبريالية. ويذكر إخوانه في سوريا ولبنان ومكة وقطر و البحرين و الكويت وكل البلاد العربية الذين تتربص بهم قوى الشر و تتحين الفرصة لاستغلال خيراتهم واضعاف قوتهم حتى يتحولوا إلى لقمة سائغة سهل ابتلاعها يوما ما .[3]

كما تعرض الفلسطينيون إلى التشريد و النزوح بعد النكبة في 1948، تعرض الجزائريون كذلك إلى نفس الأعمال الإجرامية من طرف الاستعمار

---

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 373.

[2] م س، ص 348-349.

[3] أنظر، صالح خرفي، أطلس المعجزات، ص 172.

الفرنسي بعد ثورة التحرير في الحدود الشرقية و الحدود الغربية. فغدا الشعراء يصورون في حسرة و انكسار تلك الأوضاع القاسية لكلا الشعبين العربيين فقال حمار :

اللاجئونَ تلوح في أقْدَامِهِمْ وَ صَمات عـــارْ
الضائعون عَلَى كهوف الذلِّ بَيْنَ دَمٍ وَنَـــــارْ
مِنْ سوقَ أهْرَاسَ إلَى {يَافَـــا} أيَا لَعْنَ الْقفَارْ
عَشَشْ عَلَى هَامَاتِنَا حَتَّى نَعودَ إلَى الْدِّيَـــــارْ[1]

ولكن هذه الحياة القاسية ليست دائمة في تصور الشاعر الجزائري فلا بد أن يجيء يوم تعود هذه الحشود إلى أوطانها وتنعم بالحرية و الاستقرار بعد التشريد و النزوح و اليوم لا محالة آت :

لاَ بد أنْ يَنْهَارَ ركْن حكـــومَة بنَيت عَلَى التضْليلِ و الإيهَـــامِ
سَنَرَى فلَسْطينَ الْعَزيزَةَ مثْلَمـــا كَانَتْ مَثَابَةَ حـــرْمَةٍ و ذمـــــامِ
وَنَرَى بَنِي صَهْيونَ منْهَا قَدْ جَلَوْا بالطَّوْعِ إنْ شَاءوا أوِ الإرْغَـــــامِ
وَ اللاجئينَ بهَا نَرَوْا واستَمَرؤوا عَيْشَ الْحَضَارَةِ بَعـــدَ عَيْشِ خيَامِ[2]

و الحقيقة التي لا تغيب عنا هي "إن الإيمان بالعودة إلى فلسطين و الكفاح لاستردادها عبر عنه شعراء عرب كثيرون، ولكن الشعراء الجزائريين يكادون

[1] الركيبي، قضايا عربية، ص 76.
[2] محمد العيد، الديوان، ص 244.

يجمعون على هذه الفكرة وهم يدعون لها في كل قصيدة تتعرض لفلسطين بعد النكبة وإن اختلفوا في الأسلوب وطريقة المعالجة وطريقة التعبير".[1]

وهذا الشاعر أبو القاسم حمار يصور تلك المرأة الفلسطينية في المنافي و الملاجئ و المخيمات وما تعانيه ما زالت تحلم بالعودة إلى أرضها وربوعها في فلسطين :

كَحَبْلِ الْوَرِيدْ
قَرِيبٍ بَعِيدْ
هُنَاكَ فِي خَيْمَةٍ نَازِحَهْ
إِلَى جَنْبِ الْقَرْيَةِ النَّائِحَهْ
هُنَاكَ خَلْفَ الْقُبُورْ الْعَرَاةْ
وَبَيْنَ الْمَآسِي وَلَفْحِ السَّرَابْ
بَدَتْ عَائِدَةْ[2]

ظل الشاعر الجزائري يحلم بالعودة و النصر هو أيضا كما يحلم بنصر الله المؤكد لعبادة المؤمنين مثلما تحقق في مواقع عبر التاريخ فقال صالح خباشه وهو طالب في بلاد العراق :

فَبَدْرٍ فِي الْعِرَاقِ طَوَى دَخِيلاَ ... وَمَا قَدَمٍ لِدَخِيلٍ بِمُسْتَقَرِ
وَحَوْلَ الْقُدْسِ أَفْئِدَةٌ ضِمَاءٌ ... وَلاَ يَرْوِي صَدَاهَا غَيْرَ ثَأْرِ
إِذَا مَا فَاتَنَا بِالأَمْسِ نَصْرٌ ... فَإِنَّ لَنَا غَدًا مِلْيُونَ نَصْرِ

[1] الركيبي، قضايا عربية، ص 73.
[2] م، س، ص 77.

وَبَدْر فِي الْجَزَائِـــرِ ذُو ضِرَامٍ وَمَا زَالَتْ الأَنْبَاء تَسْـــرِي[1]

لكن الأمل يحدو الجزائري إلى النصر أو الشهادة في كلا القطرين ـــ الجزائر وفلسطين ـــ فيقول على لسان الشهيد :

أَلاَ يَا رِفَاقِي، اذْكرونِي إِذَا رَجَعْتمْ لِـحَيْفَا وَقُـــولوا الْفَقِيدْ
وَقولوا لِسَلْمى إِذَا مَا رَأَتْ رِبَانَا وَذِكْـــرَى زَمَـــانٍ بَعِيدْ
بِأَنْ توقِدَ الشَمْعَ فِي حَفْلِنَا وَ تَفْرِشَ لِي الدَرْبَ سَعْـفَ الْجَرِيدْ
فَإِنِي سَأَمْضِي إِلَى وَهْجِـــهِ جَنَاحِي فَرَاش كَلَـــوْنِ الْحَلِيدْ
أَعَانِق أَطْيَافَهَا سَاعَـــةً وَ أُغمِـــرَ نَفْسِي لَـــهِيبَ الْوَقِيدْ
لَقَدْ ذقْتمْ طَعْمَ الرَدى مَرَةً وَ طَعْـمَ الْدنَا وَ الْخُلودَ السَعِيدْ
وَلَمَّا أَجِدْ كَالـــرَدَى مَنْهَلاً وَ رَوْحًـــا وَ رَيْحَـــانَةً لِلْشَهِيـــدْ[2]

وتشاء الأقدار وتستقل الجزائر في 5 جويلية 1962، فيذهب الشاعر الجزائري إلى أن هذه الفرحة منقوصة ما لم يتحقق لفلسطين هي أيضا استقلالها، ذلك لأن المصير واحد و الأهداف مشتركة، ويظل فرح الجزائر مبتورا إذا لم يكن مثله لأخيه في أرض فلسطين. يقول أبو القاسم سعد الله :

رَدِيهَا

نَغْمَـــةَ النَصْرِ الْمَـــجِيدْ وانْشرِيـــهَا
عَبْـــرَ أَفَـــاقِ عَـــطَاشٍ لِنَشِيـــدِكِ

[1] صالح خباشة، الرواي الحمر، ص 149.
[2] حمار، إرهاصات سرابية، ص 112-113.

شَرِبْت كَأْس الْخَلاَص الْحر فِي فَرْحَة عِيدك
رَدِيـــهَا فِي فِلَسْطِـــينَ الْضَحـــيَهْ
وَاكْتُبِيهَا بِـــدَمِ الْخلـــدْ هَـــدِيَهْ
فَلَقَـــدْ بَانَ الـــذِي كَـــانَ تَقِيَهْ
وَانْتَهَى {اللاجئ} مِنْ حلـــمِ الْضَّيَّاعْ[1]

ثم ها هو الشاعر أبو القاسم حمار يدعو إلى أن المعركة ما زالت طويلة ولئن انتهت بعض فصولها في الجزائر فإنها في فلسطين ما زالت قائمة تتطلب تضحية وجهادا واستفادة من الدروس التي عرفتها الجزائر في حربها مع الاستعمار الفرنسي الغاشم. فيقول :

أيها النَّازِحونَ فِي اللَّيْلِ صَبْرًا ... إنْ آلاَمَكمْ سَتَبْدِع فَجْـــرًا
مَا فِلَسْطِين لِلْعـــــرُوبَة إلاَّ! ... أَمَل يلْهِب الْجَوَانِحَ جَمْـــرًا
أي نَصْرٍ كَسَبْته فِي بـــلاَدِي ... لَيْسَ نَصْرًا مَادمْت أَحْمِل ثَأْرًا
فَانْهَمِرْ يَادَمَ الْكِـــفَاحِ بِأَرْجَائِي ... وَلَوْنْ تَرَاكَ شَبْرًا فَشِبْـــــرًا
هَكَذَا شاءَت الْمَقَادِير يَا شَعْبِي ... فَمدَّ الأَجْسَامَ لِلْحد جِسْـــرًا[2]

و الملاحظة التي يمكن أن نخرج بها من شعر هذه المرحلة ـــ {54-62} هي أن الشاعر الجزائري لم ينس فلسطين حتى وهو في قلب معركة التحرير وربط بين الثورة و القضية الفلسطينية واعتبرهما شيئا واحدا. وكما صور أوضاع شعبه صور أوضاع إخوته في المخيمات و الملاجئ. وظل مؤمنا بالعودة و النصر. وحين

---

[1] سعد الله، الزمن الأخضر، ص 367.

[2] أبو القاسم حمار، ظلال و أصداء، ص 111.

استقلت الجزائر كانت ترى أن فرحتها تحتاج إلى فرحة أخرى هي فرحة فلسطين ورأى الشاعر الجزائري أن المعركة ما زالت طويلة تحتاج إلى تضحيات وجهاد مرير. ولئن حققت الجزائر خطوة في طريق النصر، فإن الواجب القومي و الديني ما زال يفرض عليها تضحيات أخرى مازالت تنتظرها تجاه أمتها العربية و الإسلامية وخاصة منها القضية الفلسطينية التي أخذت منها دعما آخر في زمن الحرية تمثل في الدعم المادي و المعنوي و التأييد في المحافل الدولية و الوقوف إلى جانبها ضد الصهيونية المدعومة من قبل الإمبريالية العالمية الحاقدة.

فلسطين في الشعر الجزائري من 1962-1967

قلت إن فرحة الجزائر بالنصر و الاستقلال كانت منقوصة ما لم يتحقق للشعب الفلسطيني هو الآخر نصره، لذلك بقي الجزائريون خلال السنوات الأولى من الاستقلال يشعرون بغصة في الحلق. فلم تمر عليهم مناسبة إلا و لفلسطين ذكر وحضور بينهم فهذا الشاعر محمد العيد يقول في إحدى المناسبات الوطنية من سنة 1965 :

نَحْنُ شَعْبُ الْفِـدَى {فَلَسْطِين} مِنَّا ... وَإِلَيْنَا وَ الْحُكْمُ لِلْأَرْحَـوَّانِي
قُلْ لِمَنْ سَامَهَـا احْتِلاَلاً وَغَصْبًا ... سَوْفَ تَدْرِي بَلاَءَنَا فِي الْطِّعَـانِ
يَا ابْنَ صَهْيُون لا أَرَى لَكَ بُـدًّا ... مِنْ عُـدول عَنْ كَيْـدِكَ الشَّيْطَانِ
إِنَّ نَهْرَ الأُرْدنِّ لِلْعُـرْبِ تَبْعًا ... وَمَـصَبًّا مِنْ أَقْـدَمِ الأَزْمَـانِ
وَفِلَسْطِين لِـ {لَجَزِيرَةِ} جُـزْء ... عَرَبِيٌّ مِنْ عَهْـدِهَا الْكَنْعَـانِي[1]

[1] محمد العيد، الديوان، ص 271.

لقد ظل الشعراء الجزائريون خلال هذه الحقبة مكلومي الأفئدة مجروحيها بسبب القضية الفلسطينية، التي ما انفكت تزداد تعقيدا يحلمون بالعودة و النصر و لم يتسرب إليهم اليأس أو القنوط يوما يقول الشاعر محمد الأخضر السائحي :

قَدْ حَلَفْنَا سَنَعودْ يَا فِلَسْطِين الأَبِيَه
وَسَنَرْمِي بِالْيَهودْ بَيْنَ أَحْضَانِ الْمَنِيَه
وَنعيـــدْ وَنشيـــدْ
يا فِلَسْطِين علاكْ[1]

وكان الشاعر الجزائري يعتقد اعتقادا راسخا أن الثورة الجزائرية في حقيقة الأمر هي ثورة كل العرب وأن تحرير الجزائر ما هو إلا خطوة أولى في طريق التحرير لبقية الأقطار العربية لذلك نجد الشاعر مفدي زكرياء يردد في إيمان راسخ.

فلَسْطـــين فِي أَرْضِنَا بَعْثهَا وَمِنْ أَرْضِنَا تَزْحَف الْحَامِيَهَ
وَمِنْ أَرْضِنَا نقْطَة الانْطِلاَقْ وَثَوْرَتنَا حَجَـــر الْزَّاوِيَهْ !
عَقِدَتنَا فِي الْوَرَى وَحْـــدَة وَأَسْمَى الْعَقَائِد وَحـــدَانِيَه[2]

والإصرار نفسه نجده عند الشاعرة الجزائرية ميروكة بوساحة التي كانت ترى العودة آتية لا محالة و الاستقلال وشيك التحقق حين تقول عن بلاد فلسطين العزيزة :

يَا ثَرَى كَالْمِسْكِ طِيبًا عَابِقًا خَلْفَ الْحـــــدودْ
ضَمَـــــخَتْه بِدِمَاهَا قَبْلَ أَبَائِي جـــــدودِي

---

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 349.
[2] الثقافة ع 57، مايو/ يونيو 1980، ص 114.

أيّ طهرٍ دنّسته فيكَ أرجاس اليهودْ
أبدًا لن نترك الثأر ولن ننسى حمانا
لن نذوق النوم حتى تتلاقى قبلتانا
ونراه رافع الرأس عزيزًا ويرانا

وتذهب الشاعرة نفسها إلى أن العودة لا تتم من غير تضحية، و الاستقلال لا يكون من غير فداء ذلك لأن الحرية ثمنها غال ومهرها عزيز

سنفي بالوعد {يافا} فاستعدّي للّقاءْ
ونرد الحيف {حيفا} بالضحايا بالدّماء
ونغطّي كلّ شبرٍ في الحمى بالشهداء[1]

كانت السنوات الأولى التي أعقبت الاستقلال في الجزائر مليئة بالأحداث و التقلبات في الأوضاع الداخلية لكن الشاعر الجزائري ظل محافظا على الخط متمسكا بالمبدأ تجاه القضية الفلسطينية، لا يقر له قرار ولا يرتاح له بال ما دامت لم تكتمل له الفرحة باستقلال فلسطين.وقد كان يهتبل كل فرصة ويستغل كل مناسبة فيذكر الناسي و المتناسي بمأساة الاخوة الأشقاء. فجرح فلسطين لا يندمل في قلب كل جزائري عرف بطش الاستعمار وذاق ويلاته، وإن اختلفت تجارب الشعراء وتعددت وسائل تعبيرهم يقول الدكتور عبد الله ركيبي في هذا المضمار : " ولا شك أن الجيل الأول ـــ كما سبق أن ذكرت ـــ كان تعبيره يتماشى وتأثره بالأساليب القديمة ... أما الجيل الجديد فقد حاول أن يجدد في أسلوب وشكل

[1] م. ن، ص 114-115

القصيدة ... ولكنهما يتفقان في النظرة، يتفقان في الإيمان بعودة فلسطين ويدركان أبعاد هذه القضية القومية والإنسانية وفوق هذا يؤمنان بالنضال طريقا لعودتها وتحريرها[1].

فلسطين في الشعر الجزائري من 1967 إلى 1973

كانت النكسة في حزيران 1967 و التي زادت فاحتلت فيها الأرتال الإسرائيلية أجزاء أخرى من الضفة الغربية وقطاع غزة، فأثرت هذه الأحداث في الشعراء الجزائريين أيما تأثير، و لم يكادوا يستفيقون من الصدمة حتى راحوا يعبرون عما اعتلج في دخائلهم تجاه النكسة. فقال أبو بكر مصطفى بن رحمون أن هذه الأخيرة هي خيبة للمسلمين و العرب :

وَمَا وَلَجَ الْيَهود الْقدْسِ نَصْرًا لَهمْ كَلاَّ فَذَلِكَ لَنْ يَكونَـــا
فَرَبّ الْعَرْشِ لاَ يَأْتِي خَوَرنَـــا أَبَيمًا مِلْكَ مَـــأْوَى الْمرْسَلِينَا
وَ إِنَّ اللّهَ لَمْ يَنْصرْ يَهـــودًا وَلَكِنْ مِحْنَةٌ لِلْمسْلِمِينَـــا[2]

وفي هذه النكسة، نجد الشاعر أبا الحسن علي بن صالح بعد أن يتحدث عن مشاركة الجيش الجزائري إلى جانب أشقائه العرب، يدعوا إلى وسيلة أخرى في الحرب فيدعو إلى قطع النفط عن الغرب المؤيد لإسرائيل، ويدعوا إلى استرجاع الأموال الموضعة في البنوك الغربية الداعمة للعدو ومقاطعة بضائع الغرب ومنتوجاته مع كامل الحذر من غدر هؤلاء وأولئك غربا ويهودا :

يَا عرْب لاَ تَيْأسوا، فَالْحَرْب سَائِرَة بِلاَ انْقِطَاعٍ فَكونوا أَقْوِيَاءَ كونـــــوا

---

[1] عبد الله ركيبي، قضايا عربية، ص 80.

[2] ابن رحمون، الديوان، ص 117.

بِتْرولُنَا عَـرَبِيّ فَاقْطَعُـوه عَـنْ الأَعْدَا يَموتوا وَصونوا نَفْطَكُمْ صونوا
سَالَ اللّعَاب عَلَى الْبِتْرِين فاحْتَفظوا بِـه فَـإِنَّ حَيَـاةَ الْيَـوْمِ بِتْرِيـن
لا تتركوا الْمَالَ يَنْمو في مَصَارِفِهِمْ لَمْ يَبْقَ في الْعرْب لِلأَعْـدَاءِ تَمْوِين
لاَ تفْرِغوا في مَوَانِيكُمْ بَوَاخِرَهُـمْ فَـفِي بَوَاخِـرِهِمْ لِـص وَتِنِّـين
وَقَاطِعُـوا مَنْتوجَاتِهِـمْ عَـلَـنًا فَفِي مقَاطَعَة الأَعْـدَاءِ تَأْمِـين[1]

ثم ها هو الشاعر أحمد سحنون يستعيد أنفاسه من جديد بعد هول النكسة في النفوس، وغدا يدعو إلى الجهاد ومواصلة الحرب. فالنكسة مجرد معركة وخسرانها لا يعني النهاية أو الهزيمة المطلقة :

هَلُـمَّ لِنَسْتَأْصِلَ الظَّالِمِـينَ وَمَنْ حَالَفَ الظُلْمَ أَوْ أَيَّدَا
وَنَمْحو مِنَ الأَرْضِ حكْمَ الْطغَاةْ وَمَا وَطَّدَ الْظلْم أَوْ شَيَّدَا
وَنَنْصف شَعْبًا هَدَى واهْتَـدَى وَنَنْسف شَعْبًا بَغَى واعْتَدَى
وَنَسْخ لَيْلَ الْظَّلاَلِ الْطَّوِيلْ وَنَطْلع لِلنَّاسِ فَجْرَ الْهدَى[2]

أما الشاعر الشاب أحمد حمدي فيعبر بثورة الشاب ويرى أن الثورة كامنة في الإنسان العربي وهي طبيعة فيه لا يرى بغير الحرية بديلا :

وَلَـــــكِـــــنْ.
إِنَّـــنِـــي لَهَـــبْ.
وَ فِي بَقِيَّة مِنَ جَذْوَةِ الْعَرَبْ.
حَـــذَارِ ـــ حَـــذَارِ.

---

[1] أبو الحسن علي بن صالح، الديوان، ص 154..

[2] أحمد سحنون، الديوان، ص 123-133.

إِلَى أَنْ يَقولْ :

فَاصْرَخْ يَادَمِي الْعَـــرَبِي.
ثَـــــفَـــــجَّـــــرْ.
أَحْـــــرِقْ الْتَـــــارِيخْ.
إِنْ الْقَـــــــــدْسَ.
فَـــــــــاتِـــنَـــةَ.[1]

كما نجد الشاعر محمد عبد القادر السائحي يصور حال الشاعر الجزائري في هذه الظروف القاسية المحطمة للآمال، المدمرة للنفوس بسبب ما كان يردد على الأسماع في الإذاعات و التلفزة و الصحف وكل وسائل الاتصال من أن هذه الحرب في نكسة 1967، هي الضربة القاضية للعرب وأن أهدافها كانت مقصودة ومخططا لها ومبرمجا من مدة. فقد صرح وزير خارجية الكيان الصهيوني قبيل الحرب بشهور حين "سئل عن أهم دعامات الإستراتيجية الصهيونية الإسرائيلية التي تكفل بقاء إسرائيل في قلب المنطقة العربية الواسعة المعادية فأجاب باختصار بلـــيغ : إن أهم هذه الدعامات هي {بلقنة} المنطقة العربية أي إبقائها كالبلقان مجزأة مفتة"[2] فقال السائحي :

شعَراؤهَا أنوا وَ ضَجّوا بالأســـى ... فِي كلِ لَحْنٍ أَوْ نَشيدٍ رَدَّدوا
أنْشودَةَ الْوَطَنِ السَّليبِ وَ صَرْخَةً ... لِلأُجيِنَ تَهـــزنَا وَتتـــــدَّد

---

[1] أحمد حمدي، انفجارات، ص 56-57.

[2] عودة بطرس عودة، القضية الفلسطينية في الواقع العربي، ص 07.

فِي ثَوْرَةٍ فِـــــي دَمْعَةٍ فِي أَنَّةٍ تَبْكِي السَّمَاء مِنْ وَقْعِهَا وَمحَمَّد[1]

ولكن البكاء و النحيب و الضجر و الأنين لا يجدي المقهورين و لا يرد كيد الكائدين فلا مناص من النضال و الجهاد لرد غائلة العدو، وصد عدوانه المتكرر على شعب أعزل في المخيمات و الملاجئ.

لقد جرب الجزائريون المحافل الدولية في قضيتهم فلم تجد شيئا كثيرا وعرفوا أن النصر لا يكون إلا على أشلاء الشهداء، فلا البيانات ولا اللوائح و الشكاوى إلى هنا وهناك تعود بالشيء المفيد، لذلك نصح الشاعر صالح خباشة الاخوة الأشقاء في فلسطين قائلا :

إنَّ التَّشكِي غَايَة الْضَّعْـــف.
كَمْ مِنْ قَـــرَارٍ نَامَ فِي الرَّف.
مَا أَيْقَظَتْه سوَى لغَى الزَّحْف.
بالفَرْد بالعَشَرَات بالأَلْـــف.
سَنَقولُهَا يَا مَجْلِسَ الأَمـــنِ.[2]

لذلك غدا يدعو إخوانه في فلسطين إلى الاعتماد على القوة وأخذ التجربة الجزائرية نموذجا ونبراسا، لاسترجاع حقوقهم المغتصبة وترك الخطب الرنانة والتغني بالماضي وذكرياته فقال :

يَا أَيهـــا الْعَـــرَبِي يَا أَسْمَـــرْ.

---

[1] محمد عبد القادر السائحي، الكهوف المضيئة، ص 130-131.
صالح خباشة، الروابي الحمر، ص 185.

[2] صالح خباشة، الروابي الحمر، ص 185

لاَ خَالِـــد يـــجْديكَ لاَ عَنْتَـــرْ.
لاَ تَـــكْثِرْ الإنْشَـــادَ لاَ تَـــزْأَرْ.
فَعَـــدوُّنَا بِشَكْـــوَتِه أَشْـــطَرْ.
فَاعْصِفْ عَلَيْه بِرِيحكَ الْصَّرْصَرْ.
وَأَفِضْ عَلَـــيْه الْجَيْشَ وَ الْمنْكَرْ.
وَدَعِ الْفلولَ لِمَجْلِـــسِ الأَمْـــنِ.[1]

إن المحص للأدب الجزائري في سنوات ما بعد النكسة {1967}، يلاحظ أن الدعوة إلى استخدام القوة غدت ملحاحة ومكررة عند هذا الشاعر وذاك بشكل لافت للنظر كل ذلك من واقع تجربته وخبرته مع الاستعمار الفرنسي، "وفكرة استخدام القوة والإيمان بها أصبحت عقيدة راسخة في نفوس الشعراء الذين يعكسون إيمان الشعب الجزائري بها"[2]. لذلك نجد الشعب الجزائري بارك قيام منظمة فتح على الساحة الفلسطينية في جانفي 1965. وعلقوا عليها أحلاما كبيرة ودعوا إلى مناصرتها ومآزرتها، لأنها الأمل المنشود في استرجاع ما ضاع من فلسطين فقال أبو القاســـم حمار :

يَا أُمَتِي ... لاَ تَسْأَلِي لاَهِفَهْ.
وَاقِفَـــةً حَـــائِرَةً وَأَجِـــفَـــهْ.
مَتَى نَعـــود إِلَى مَـــرَابِعِـــنَا.
إِلَى ظِـــلاَلَ كرومِنَا الْوَارِفَهْ ؟

---

[1] م. س، ص 187.

[2] الركيبي، قضايا عربية، ص 86

لاَ تَسْأَلِينَـــا إِنَّـــا عِنْـــدَهَا.
طَلاَئِعَ {الْفَتْح} بِهَـــا زَاحِفَهْ.
أَخْرَجَنَا مِنْ أَرْضِنَا عَـــصِف.
وَلَنْ نَعودَ إِلَيْهَا سِوَى عَاصِفَهْ.[1]

ولقد أدرك الشعراء الجزائريون تلك المخاطر التي ستنجم عن تهويد المدن العربية وطمس هويتها العربية الإسلامية، فتنبهوا إلى الخطر الداهم وألحوا على كل القوى و المنظمات الوطنية الفلسطينية التصدي لهذا العمل الفضيع. والحقيقة إن ظهور "فتح" في أفق الثورة الفلسطينية قد أعطى الأمل في استمرار المعركة وأتاح للشعراء أن يشيدوها وينبضا لها، وترددت كثيرا في قصائد الشعراء الجزائريين أسماء لبلدان وأماكن في فلسطين "كحيفا" و"يافا"و "الخليل" وغيرها وأصبح الشعراء يتحدثون عن كل جزء من فلسطين بروح الواثق من نصرها وعودتها".[2]

وحين قنبل العدو الصهيوني قرية الكرامة على الحدود الأردنية الفلسطينية في عـــــام 1968. ورد عليه الفدائيون الفلسطينيون بكل بسالة وشجاعة وثبات وتصدوا له بكل عزيمة وإيمان فقال الشاعر محمد ناصر :

حَيَّيْتَ مِنْ بَطَلٍ بِالرَّصَاصِ وَعَـــافَ أَسْوَاقَ الْجَـــدَلْ.
بَرَّدْتَ أَكْبَادًا يَحْرَقُـــهَا حزيْرَان الْهَزِيمَة وَ الْفَشَـــلْ.
وَمَسَحَتْ دَمْعَتَ طِفْلَةٍ مَحْرومَةِ الأَبَوَيْنِ زَائِغَة الْمقْلْ.

---

[1] أبو القاسم حمار، أوراق، ص 59.

[2] الركيبي، قضايا عربية، ص 89.

وَضَمَّدَتْ طَعْنَةَ ثَاكِلٍ مَفْجوعَةٍ تَبْكِي الْشَّبَاب الْمكْتَمِلْ.[1]

ولكن استعاد الجزائريون منازلهم ورجعوا إلى قراهم ومدنهم، وقفلوا راجعين من المنافي و الملاجئ و المحتشدات التي كانوا يعانون فيها ضنك الحياة سنوات الثورة فإنهم لم ينسوا حال إخوانهم الفلسطينيين وما يقاسونه في تلك الحياة البئيسة من نصب وعناء فهذا الشاعر أحمد معاش يصور ما كان يحسه ويشعره إزاء إخوانه فقال : "عندما يختم الظلام وتتوالى الأحزان ويعم الدمار وتتكرر عمليات الانتقام وتتعدد مجازر {دير ياسين} و{قبيه} و {كفر قاسم} ... فإننا نتحسس ما يجري في {الخيام} ونستمع ما يدور بها من همس وحوار وإصرار ونرنو إلى بصيص من النور يتألق من ثناياها مصحوبا بأنغام نشيد حزين يردد أناء الليل وأطراف النهار ويتخلل ذلك أنات خيمة ولود تضع كل حين بطلا فيتحسم فيه الأمل من جديد".[2]

فالأمل معقود على تلك الخيام في الملاجئ و المخيمات التي تلد كل يوم بطلا فلسطينيا يواصل الدرب ولا يترك عجلة القضية تتوقف أبدا بكفاحه ونضاله وتضحياته، يقول حمار.

يَافَـا وَحَيْفَـا وَ الْخَـلِيلْ لَنَا.
وَ الْقُدْس لاَ لِلأَرجلِ الخَائِفَـةْ.
قَسَمـًا سَنَرْفَـعَ رأْسَ أُمـَّتِنَا.
وَنعِيدَ مَجْدَ عهودِنَا السَّالِـفَةِ.

---

[1] محمد ناصر، أغنيات النخيل، ص 43.

[2] أحمد معاش، التراويح وأغاني الخيام، ص 177.

وَكَذلكَ إِسْرَائِيلَ . يَا لِمَصِيرِهَا.
مِنْ ثَوْرَتِي مِنْ نِقْمَتِي الْحَارِقَهْ[1]

وازداد الشاعر الجزائر تعلقا بالقدس وفلسطين بعدما تعرض المسجد الأقصى إلى الحرق في 1969/07/21 من قبل الصهاينة الأنجاس وهذا ليس غريبا منهم. فأعمالهم عبر التاريخ معروفة بالتخريب و الإفساد. يقول أحد الدارسين "إن هذه الجماعة العبرية في حروبها وغزواتها سبقت القبائل التي عرفت في التاريخ الأوروبي المتوحشة و البربرية. وسبقت هولاكو وجنكيز خان في اتباع أساليب التدمير و الحرق و الإبادة الجماعية. فتحدث التوراة وكتب التاريخ عن الأسلوب الهمجي و الغادر في تدمير أريحا ومدينة أخرى كانت تسمى على شمال شرقي القدس وعدة مدن وقرى غيرها وإبادة سكانها بأقسى ما عرف التاريخ من أساليب وحشية لا إنسانية.."[2]

فقال الشاعر أبو الحسن علي بن صالح مصورا طباعهم وعاداتهم عبر التاريخ :

وَرَاحَتْ عِصَابَات الْيَهود تهين مَا تَقَدسه الأَدْيَان بَاد وَحَاضِر
بَغَى وَطَغَى صَهيون طغيَانه الذي تَعوّدَ مِنْ قَبْل وَهوَ مفَاخِر[3]

---

[1] أبو القاسم خمار، أوراق، ص 60.

[2] عودة بطرس عودة، القضية الفلسطينية في الواقع العربي، ص 116.

[3] أبو الحسن علي بن صالح، مآسي و أين الآسي، ص 84. وانظر كذلك علاوة جروة وهبي، الوقوف، ص 61.

وحين اندلعت الحرب بين الاخوة الأشقاء في أيلول 1971 بعمان بين الفدائيين و الجيش الأردني استنكر الشاعر الجزائري هذه الحرب وتمنى لو أنها توجه إلى صدور العدو الغاصب. فقال الشاعر أحمد سحنون :

وَكُنَّا نَضِيقُ بِظُلْمِ الْيَهُـــودْ فَصِرْنَا نَضِيقُ بِظُلْمِ الْعَـــرَبْ
وَ مَا عَجَبٌ أَنْ شَكَوْنَا الْعَدوَ وَلَكِنْ شَكْوَى الْصَّدِيقِ الْعَجَبْ

إلى أن يقول :

بِهَا شَهَرَ الإِخْوَانُ الْسِلاَحْ وَكُلٌ لِقَتْلِ أَخِيهِ انْتَدَبْ
وَكَانَ قَتَالٌ وَ كَانَتْ جِرَاحْ وَ كَانَتْ مَآسٍ وَكَانَتْ كُرَبْ
وَ كَانَتْ مَغَازٍ حَجَلْنَا لَهَا وَ كَانَتْ ذنوب وَ لَمَّا نَتُبْ
وَحَلَّ بِنَا مَا أَرَادَ الْيَهُود فَتَاهُوا بِمَا بَلَغُوا مِنْ أَرَبْ [1]

وتشاء الأقدار وينتصر العرب في 6 أكتوبر 1973، فيهتز العرب فرحة ويتجدد الأمل، وتنتعش النفوس المنكسرة بسبب ما ران عليها من هزائم ونكبات مرة قاتلة فشدا محمد بن رقطان مبتهجا، ومصورا لحال اليهود المنكسرين هذه المرة:

سَلِ الْصَّحَافَةَ عَنْ مَا ئِيرَ مَا فَعَلَتْ لَمَّا أَتَاهَا الْبَلاَ فِي عشِّهَا الخَرِبِ
مَا بَالُهَا وَقَفَتْ بَكْـــمَاءَ وَاجِفَةً كَأَنَّهَا صَخْـرَةٌ خَرْسَاءُ لَـمْ تَجِبِ
وَحَوْلَهَا قَائِدٌ فِي عَيْنِهِ عَـــوَرٌ يَفْرِي عَلَيْهَا وَلاَتَ حِينَ الْكَـذِبِ
مَا كَانَ بَرْلِيفُ إِلاَّ حِلْـسُ مُحْتَبِلٍ قَدْ شَيَّدُوا صَرْحَهُ وَ اللَّهُ بِالـذَّهَبِ
فَكَيْفَ مَالَتْ بِهِ الْجُدْرَانُ وانْدَثَرَتْ تِلْكَ الْحصون أَمَامَ الْجَحْفَلِ اللَّجِبِ

[1] احمد سحنون، الديوان، ص 130. وكذلك أنظر، أبو الحسن علي بن صالح، مآسي وأين الآسي، ص 88.

أَكَانَ ذَلِكَ مِنْ تِلْقَائِهِ سَلَفًا أَمْ شَاءَ رَبُّكَ هَذَا الْفَتْحَ لِلْعَرَبِ[1]

كانت حرب 6 أكتوبر 1973م نقلة نوعية كبيرة في نفوس العرب ولكن الشعراء الجزائريين لم يقنعوا بهذا القدر من النصر، بل أرادوا الكثير الكثير، حتى تعود الأرض و الحقوق إلى أصحابها و الجزائر كلها استعداد لنصرة الاخوة الأشقاء في كل الأقطار العربية وكل وسيلة يملكونها هي مسخرة لخدمة كل الحركات التحريرية في العالم قال الشاعر :

أوراس بالأمس شوّاظ مِنَ اللَّهَبْ
أنشودَة الْحَقِ بالأحْرَارِ تَسْتَبِقْ
"كوبَا" وَفِيتْنَام وَ التَحْرِير يَنْطَلِقْ
رَصَاصَةٌ أَوْ قَصِيدًا خَطَّه الأَلَمْ
أَوْ دَوْحَةٌ حقول الْحُرُّ تَبْتَسِمْ
حَتَّى نَدير "بَيافَا" دَفَّةَ الْقَدَرْ[2]

ذلك لأن الشاعر الجزائري تأثر بالطبع، لا يعرف استكانة ولا خنوعا، وحيثما رأى ظلم الاستعمار ثار وانتفض وحيثما رأى الظلم و القهر يتألم ويأسى ولن يقر له قرار و لا تسكن له نفس ما دام القدس مطوقا مكبلا بأغلال الصهاينة اليهود :

مِنْ هنَا مِنْ قَمَمِ "الأَخْضَرِ" مِنْ أوراسنَا قَدْ جِئْت ثَائِرْ.
مِنْ هنَا مِنْ لِيبِيَا مِنْ سورِيَا مِنْ أَرْضِنَا الْجَزَائِرْ.

---

[1] محمد بن رقطان، ألحان من بلادي، ص 36.

[2] محمد عبد القادر السائحي، من عمق الجرح يا فلسطين، ص 82.

جئـــــــت ثـــــــائـــــــــــرْ.
وَسَأَبْقَـــــــى أَبَدَ الدَّهْرِ عَلَى الْعَـــــــدْوَانِ ثَائِرْ.
وَعَـــــــلَى كـــــلِّ أَمِـــيرٍ متآمِـــــــرْ.
وَ عَلَـــى كـــــلِّ جَبَانٍ وَ مقـــــامِـــــرْ.
أَنـــــا ثـــــــائِـــــــــرْ.[1]

ويذهب الشاعر إلى أن كل الثروات العربية عامة و الجزائري خاصته ليست لها أية قيمة إن هي لم تسخر لخدمة الحرية و الاستقلال وإن كل الثورات مآلها الفشل إن لم تجد لها دعما ماديا من الشعوب فلذلك، لا بد من العطاء بسخاء وها هي الجزائر في المقدمة تبذل كل ما تملك للثورة في فلسطين وفي غيرها.

يَا صَرْخَةً مِنْ قلـــوبِ الْقدْسِ تَرْتَفِـــعْ.
سَنَبِلِ الْقَمْحِ مِنْ "شِيلْيَا" لَـــكِ الْمَـــدَدْ.
وَشُعْلَةَ النِّفْطِ فِي الْصَّحْرَاءِ لَكِ الْـــعدَدْ.
فَثَوْرَتِي لَـــمْ تَكُـــنْ مَقْطُوعَةَ الـــنَّسَبْ.
حـــرِّيَّتِي قِمَـــةٌ فِي مَوْطِـــنِ الْعَـــرَبْ.[2]

ويبقى الشاعر الجزائري مخلصا للقضية الفلسطينية مهما كانت الظروف فلن يخون ولن يحيد عن الخط الثوري المتنامي المتصاعد في أعماقه وأعماق شعبه :

لَنْ نَخونَ الْقدْسَ فاللَّيْل وَ إِنْ قَيَّدَنَا لِلْمَوْتِ ذَاهِبْ.
لَنْ يَخـــــونَ الْقَـــــدْسَ إِنْسَان مـــحَارِبْ.

---

[1] عمار بودهان، معزوفة الضمأ، ص 64.

[2] محمد عبد القادر السائحي، من عمق الجرح يا فلسطين، ص 83.

لَنْ نَخونَ الْقدْسَ فَالْفَجْرُ وَ إنْ طَالَ زَمَان متَقَارِبْ.[1]

بقي الشاعر الجزائري متفائلا برغم النكسة في جوان 1967، ودعا إلى معاودة الكرة وفرح بانتصار الفدائيين في هجوماتهم واستنكر حرب الاخوة الأشقاء ودعا إلى التلاحم وبذل الغالي و النفيس في سبيل الحرية لكل الشعوب المكافحة من أجل الاستقلال. و ظل الأمل يحدوه إلى النصر و الاستقلال لأنه خبر الاستعمار وعرف أن دحره لا يكون إلا بالقوة و النضال.

فلسطين في الشعر الجزائري من 1973-1982

لم تمض سنوات على الفرحة بانتصار أكتوبر 1973م و التي طالت العرب كلهم حتى بدأت تلوح في الأفق مشاريع التصالح و التسوية مع بعض الدول فعدها الشعراء الجزائريون خيانة لتضحيات الشهداء ونضالات قوافل من خيرة أبناء هذه الأمة فوقفوا بعزم ضد تلك المشاريع وطالبوا بتوقيف الاتصالات مع العدو الصهيوني وحلفائه المتحالفين معه ــ مصالح وإيديولوجيا*ــ فقال محمد بن رقطان محذرا من الخيوط العنكبوتية التي كانت تنسج لضرب الأمة العربية بسبب تلك المشاريع الفتاكة :

وَكَمْ بَيْنَنَا مِنْ عَمِيلٍ خَـفِيٍّ ... وَكَمْ فِي الْعروبَةِ مِنْ الْعمَلاَءْ
أَتوافِـي عهـــودِ الْدجَى ... وَأَضحَوا وِصَايًا عَلَى الْشَّرَفَاءْ
فَيَا أَيهَا الْخَائنون احـــذَروا ... رِحَاب الْكِنَانَة أَرْض الـــسَّنَاءْ
فَكَـــمْ طَمْأَنَتْ قَبْل مِنْ ظَالِمٍ ... وَأَلْقَتْ بِهِ لِمَهَاوِي الْفَنَـــاءْ

[1] عمار بودهان، معزوفة الضمأ، ص 66.

وَظَلَّتْ كَـــمَا هِيَ صَامِـــدَةً صمودَ أَبِي الْهَوْلِ فِي كِبْرِيَاءْ[1]

وحين هب الفلاحون الفلسطينيون في قرى الجليل مدافعين عن أراضيهم التي أقدمت العصابات الصهيونية على مصادرتها لإقامة المستوطنات لشداد الأفاق واشتبك الفلاحون العزل معهم فكانت أحداثا دامية واستشهد فيها العديد من الفلاحين العرب. فعرف ذلك اليوم "بيوم الأرض" {30 مارس 1976}. وقد خلدها الشعب الفلسطيني بذكرى سنوية يحييها في كل عام. ومن ضمن من قال فيها شعرا الشاعر أحمد معاش :

الأَرْض أَرْضِي وَ الْبِلاَد بِلاَدِي وَقَضِّيتِي مَرْسومَة الأَبْعَـــاد
مَعْرُوفَة أَرْضِي لكـــلّ مُنَقِّبٍ خَالٍ مِنَ الأَغْرَاضِ وَ الأَحْقَاد
مِنْ عَهْدِ عَادٍ أَوْ ثَمودَ رَمْلُهَا يَحْكِي لَنَا مِنْ غَابِرِ الأَجْدَادِ[2]

كل الشواهد تدحض ادعاءات اليهود في أي دعوى يزعمونها، ولكن منطق القوة و الصلف الذين تميزوا بهما منذ أن أقدموا على أفعالهم الشنيعة في الأراضي العربية التي احتلوها.

قلت لقد تألمت الشعوب العربية لما كان يخطط في الدهاليز لضرب الأمة العربية، وازدادوا ألما لما تم من اتفاقيات في كامب ديفد واستفراد اليهود و القوى الإمبريالية بأرض الكنانة وإبرامهم لتلك المعاهدات. ولكن الموقف الرسمي تفاوت

---

* يحسن قراءة مقال عبد القادر بخوش، "علم المستقبليات بين الفكر الإسلامي و الفكر اليهودي"، مجلة أصول الدين، س الأولى العدد 2 ، 1420هـ/1999م، ص 257 وما بعدها.

[1] محمد بن رقطان، الأضواء الخالدة، ص 76.

[2] أحمد معاش، التراويح و أغاني الخيام، ص 205.

إزاءها من حكومة لأخرى، إلا أن أغلب الشعوب و الجماهير كانت رافضة لكل تلك المهازل و التبريرات التي كانت تقدم. فقال الشاعر معنفا العرب في تمزيقهم وتشتيتهم :

حَيْفَاء تَمْزِقهَا الْخطوب وَنَحْن فِي لَيْلِ الْضَّيَاعِ تَهزنَا الأَهْوَاء
وَنَظَلّ نَلْهَث بَاحثِينَ عَنِ الْهـدّى وَشعوبنَا تَجْتَاحهَا الأَهْوَاء[1]

وظل الشعب الجزائري؛ حكومة وشعبا، ضد اتفاقية كامب ديفد بعد أن انظموا إلى جبهة الصمود و التصدي، وبقوا على موقفهم صامدين مستبسلين مثل كثير من الشعوب و الحكومات العربية يدعمون القضية الفلسطينية في كل محفل دولي أو اقليمي. وتألموا لما كان يقع بين الاخوة الأشقاء في تل الزعتر بلبنان عام 1976 واستنكروا الحرب المدمرة للذات العربية المحطمة للآمال. فقال الشاعر عبد الرحمن بن العقون متألما لما كان يجري على الساحة في لبنان من حرب ضروس و معارك طاحنة :

دَعْنِي أخـــــــي ! .. دَعْنِي مِنَ الْزَّيْفِ الْمطَوِّحِ بِالغَرِيرْ
دَعْنِي وَتَلّ الْزَّعْتَرِ الْمؤْودِ طـــــوَقـــــه الْمـــغِيرْ
وأَبَى الْغـــــزاة لِيَقْتَلعوا حَتَّى إِلَى الْنَّـــفَسِ الأَخـــيرْ
رَدّوا الْهِـــلاَلَ وَ حَارَبوا حَتَّى الْصَّلِيبَ وَ لاَ ضمـــــيرْ[2]

لم تغادر القضية الفلسطينية أحلام الشعراء الجزائريين ولو للحظة واحدة، بل كانت تعيش معهم شعورا و لا شعورا، فسجلوا كل صغيرة وكبيرة همّ

[1] محمد بن رقطان، الأضواء الخالدة، ص 155.
[2] عبد الرحمن بن العقون، ص 124.

القضية، سواء في داخل الأرض المحتلة أو خارجها في الشتات، خلال هذه الفترة التي تعقدت فيها الأوضاع الدولية بعد اتفاقية كامب ديفد. فقال الشاعر أحمد حمدي مصورا الوضع المتأزم :

أَنْهَارهَا ـــ فلَسْطِين ـــ صَارَتْ شَهْوَةً حَاصَرَتْهَا
قَوَافِلُ الْبَدْوِ ..بَاعَتْهَا نَصَائِحُ الْسجنرَالاَتْ
الْمُلوك، الْسَجَائِر، الْزعَمَاءْ، الْعَنَاقِيدْ
وَ الْتَقَالِيدَ ـــ كُلَّ مَا تَحْمِل الْتَّوَارِيخ
منعَ الْحَمْل، منعَ النَّوْم، منعَ الْشَّتْم
منعَ الْنَّبْض، بيعَ الْعَرْض، بيعَ الأَرْض
مَحْمُولَةَ عَلَى دخَانِ الْسَّجَائِر.[1]

أي حال هذا الذي وصلته الأوضاع حتى صارت متطايرة في الهباء مع دخان السجائر ؟ وأية عبثية وصلت إليها مصائر الشعوب حتى يتلاعب بها الحكام و السلاطين و الأمراء و الملوك بهذه الاستهانة ؟ ذلك هي حال المندحر المهزوم.

لكن الشعراء روح الأمة وقلبها النابض لا يعرفون الاستكانة، و لا يرضون بالهوان مهما كان مصدره. فها هو رشيد بوجدرة يهزأ من العدالة المزعومة التي تتشدق بها هيئة الأمم باسم الشرعية الدولية و العدالة لخدمة الشعوب فيقول :

أمّاه سَلِّحِيني فَـــولاَذًا
عَلِّمِيني فَضَاعَـــــةْ

[1] احمد حمدي، تحرير ما لا يحرر، ص 20.

طـــــوقيـــــي نـــارًا
لكـــيْ أَصْفَـــعَ الْعَدَالَه
إِلَى أَنْ تَقِفَ عَلَى قَوَائمِهَا
فِي كـــــــلِّ مَكَـــانْ[1]

ما أصدقها كلمة إن بعض الهيئات و المنظمات تحتاج فعلا إلى صفعات متكررة حتى تستفيق من الشرنقة التي وقعت فيها، وتخلص من براثن الصهيونية.

و بالرغم مما كان يحيط بالقضية الفلسطينية من صعاب و مؤامرات، فإن ذلك لم يستطيع أن ينسي الإنسان الفلسطيني الذي ولد في أرض الشتاب أرضه ووطنه "الأم". فهذا الشاعر عياش يحياوي يصور لنا الجيل الجديد الذي ولد بعيدا عن فلسطين و الذي ذاق حياة المخيمات القاسية وبرغم ذلك كله، فقد ظل متمسكا بالهوية الوطنية، يحلم بالعودة ويعمل على تجسيدها، يقول :

رَغْمَ تِرْحَالِ الْحقـــــــــولِ الغَجَرِيَّة
وَ اغْتِرَابِ النَّبْضِ وَ الأَنْفَـــــــــاسِ
رَغْمَ الْوَطَـــــــنِ الْضَّائِعِ فِي الأَوْطَانْ
أَنَا الْرَّعْد الَّذِي يَأْبَى سِوَى عرْسَ الْهَوِيَّه[2]

كان الشاعر الجزائري في كل مرة يذكر بالقضية و لا يترك النسيان يعشش في النفوس. بل في كل مرة يهتبل الفرصة يذكر بالواجب الذي ينتظر العرب، كل العرب تجاه فلسطين. فلا يترك للغفلة مكانا و لا للاسترخاء بقعة في

[1] رشيد بوجدرة، من أجل إغلاق نوافذ الحلم، ص 36.
[2] عياش يحياوي، تأمل في وجه الثورة، ص 32.

النفوس، لأن المسألة جد و النوم أو الغفلة خطر في هذا الظرف الحضاري المتصارع الجنبات.وليست العروبة شعارا و لا الانتماء إليها كلاما وتشدقا وإنما فعل ونضال قال الشاعر العربي دحو :

وَأصْبَحَت أَسْأل حَقًا أفي عَصْرِنَا لِلْعروبَةِ مَعْـنًى سَلِيمَهْ
أَيَسْقط صَرْح الْجـــــدود مقَابِلَ نَزْوَةِ فِرْعَوْنٍ يَاللشَّتِيمَهْ[1]

و الحسرة نفسها نجدها عند الشاعر عز الدين ميهوبي الذي غدا يحذر من مغبة ضياع القدس، و ما يمكن أن يتبعه من مدن أخرى، إذا ما بقي حال العرب على ما هو عليه من التشرذم والانقسام وعبادة الذات واتباع النزوات الشخصية فقال :

يَالَهفَ نَفْسِي ... قدْسَنَا غَرَقَتْ هَلْ مِنْ سَفِينٌ ينْقذ الْحَجَرَا
أخْشَى وَمَا أَخْشَـــى أَ يَا وَطَنِي أَنْ تَلْحَقَ الْقدْسَ أم الْقرَى
كَمْ ذَاكَ عَنْ عِرْضِ الْحِمَى عمَر وَ الْيَوْمَ لاَ تَلْقَي لَنَا عمْرَا[2]

ويبلغ الحزن مداه في نفوس الشعراء الجزائريين بعد الاجتياح الإسرائيلي لبيروت، وينفجر البركان وتتعالى أصوات الشعراء فأصبحوا يندبون بيروت بعد ما كانوا يتحسرون على ضياع فلسطين[3] ، وتبلغ النفوس الحناجر حين يرى الشعراء ما وصلت إليه الآلة الجهنمية العسكـــرية، و الترسانة الصهيونية المدعومة من القوات الأمريكية، وهي تصب بآخر ما وصلت إليه صناعتها العسكرية؛ من قنابل عنقودية وانشطارية دون تمييز بين أهداف مدنية وعسكرية. وقد كتبت القصائد و

---

[1] العربي دحو، تعال أيها الطوفان، ص 51.

[2] عز الدين ميهوبي، في البدء كان أوراس، ص 199.

[3] أنظر، محمد مصطفى الغماري، خضراء تشرق من طهران، ص 20-28-47-100

المقطوعات، بل الدواوين في وقائع وأحداث هذه الحرب الظالمة المدمرة. وظل الشعراء الجزائريون ينتقدون الوضع المزري للعرب وهم يتفرجون على الإبادة الجماعية لإخوانهم في بيروت. ولكن الحلم بالفارس المأمول الذي سينقذ القدس ويعيد لفلسطين حريتها وهجتها ظل يراودهم في طرفة كل عين. فها هو الشاعر عثمان لوصيف منتشي بصمود الفلسطيني في بيروت برغم الدمار الشامل، خاصة وهو يطرد عن نفسه وقضيته اليأس و القنوط، متساميا عن الوعود البراقة والإغراءات الخداعة الكاذبة، وبقي صامدا رغم جبروت قوى الشر وأرمادها العسكرية في اجتياح بيروت {1982} :

أَيَّتهـــا الْبَسْمَـــة الـمزقـــزقة.
الْمتَفتحـــة لِلْشَمْسِ كَالـزَّنـــبْقه.
تَحْتَ رَمـــاد الرَيات الْممـزَقـــه.
أيهـــا الْعـــاشق الْشَامـــخ
يَا مَـــنْ يَظَـــل يقـــاوم وَيقـــاومْ
يَا مـــنْ يَرْفـــض أنْ يسَـــاومْ
يَرْفض أطـبْاقَ الْذَهَـــبْ وَ الْمـــاسْ
يَرْفض أنْ يَضْمَّخَ بعطْرِ الـــخَسَاسَهْ
يَرْفض أنْ يَغْسَلَ بالْخَمْـــرِ الْمعتَّقَه وَ يطْبَخَ
فـــي قـــدْرِ الْـــسِّيَاســـهْ
يَرْفَض أنْ يكَلَلَ بلاْوَرْدِ وَ يَرْقص مَعَ الْمهَرِّجين

فِي ســـــــــوقِ النَّخـــــــــــاسَةْ[1]

وتتحالف قوى الشر و مؤازريها من المتحرين بالقضايا المصيرية للأمة، وتتم الصفقة ويخرج المقاتلون الفلسطينيون من بيروت بعد المؤامرة، بعد أن استبسلوا أكثر من 82 يوما صمودا وثباتا. ووزعوا بين بعض البلدان العربية؛ الجزائر، تونس و اليمن ليس لهم من زاد إلا حب الوطن :

هَـــذِي الْسَفِينَة وَحْـــدَهَا فِي الْبَحْرْ.
تَبْحـــثُ عَنْ مَوَانِئَ لا تشـــع بِغَيْرِ.
مـــــــــاضِيـــــــــهَا،
فَمَنْ يَوْمًا يضِيء لَهَا الْطـــــــرِيقْ.
ركّابَهَا لاَ يَقـــــــــرَأُونَ الْغَيْبْ.
مـــــــــنْ فِنْجَانِ قَهْـــوَتِهِمْ.
وَلاَ يَـــــــتَعَـــــطَّرُونَ.
بِغَيْرِ رَائِـــــــــحَةِ الْتـــــرَابْ.[2]

ويغتنم الصهاينة الفرصة بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين من بـــــــــيروت في 1982، ويقدمون على ارتكاب مجازرهم الشنيعة في مخيمي "صبرا" و "شتيلا". فسجل الشعراء الجزائريون هذه الأحداث، كما سجلها إخوانهم الشعراء العرب. فقال الشاعر الجزائري أبو الحسن علي بن صالح رابطا بين هذه المجازر و مثيلاتها في دير ياسين {19 نيسان 1948} :

---

[1] عثمان لوصيف، الكتابة بالنار، ص 30.

[2] عبد العالي رزاقي، من يوميات الحسن بن الصباح، ص 43.

كَيْفَ تَسْتَقْبِلونَ عِيدًا سَعِيـــدًا أيهَا الْعرْب وَ الْشَّقيق أبيدَا.
أضحيات به ذَبَحْتمْ وَ صَهْيون مِنَ الْعرْب فيه ذَكَّى الْعَديدَا.
إنَّ ذكْرَى "بدير يَاسين" أَدْمَتْ كَبِدي، مَزَّقَتْ مَدَاهَا الْوَرِيدَا.
بِفلَسْطينَ طعْمَة الرِّجْسِ عَاثَتْ شَرَّدَتْ كلَّ شَعْبِهَا تَشْرِيدَا.[1]

وفي يوم التضامن مع فلسطين بعد أحداث بيروت، ومجزرة "صبرا وشتيلا" على يد الإرهابي ارئيل شارون، نجد الشاعر أبا الحسن علي بن صالح يعود ويذكر بأن الشعب الجزائري ما زال على العهد و الميثاق لنصرة فلسطين "ظالمة أو مظلومة".**

فيقول :

فلَسْطين إنَّا قَدْ وَقَفـــنَا تَضَامنًا لِيَكْتَمِلَ استقْلاَلَنَا فِي الْجَزَائِرْ.
وَهَلْ يَكْمِل اسْتِقلاَلَنَا دونَ اخْوَةٍ كِرَامٍ أَشقَا فِي اسْتِلاَلٍ مبَاشِرِ[2]

في هذه الحقبة الزمنية من 1973حتى 1982 نجد الشاعر الجزائري يحذر من الخيانة ويحرض على مواصلة الكفاح وعدم الاستكانة و الرضوخ للأمر الواقع. كما شجبوا الحروب التي كانت تقع بين الاخوة الأشقاء. ووقفوا كالطود الشامخ مع المقاتلين الفلسطينيين في تصديهم لاجتياح بيروت. وبكوا شهداء صبرا و شتيلا وعبر الشعراء على موقف الجزائر الثابت تجاه القضية الفلسطينية.

---

[1] أبو الحسن علي بن صالح، مآسي و أنين الآسي، ص 105-106.

** – مقولة كان يرددها الرئيس الراحل بومدين تجاه فلسطين ونصرتها.

[2] المرجع السابق، ص 126-127.

فلسطين في الشعر الجزائري من 1982-2000

ومع استمرار الصمت العربي و التخاذل المشين الذي أعقب هذه الأحداث المفجعة للعرب و الفلسطينيين بعد اجتياح بيروت ومجازر "صبرا وشتيلا"، أمام هذا الصمت المطبق يصور الشاعر أحمد معاش ذلك الوضع المقيت في قصيدته "قالت فلسطين أو الرثاء الذاتي" في أسلوب كله لوعة وفجيعة :

وَيْلِي أَنَا وَيْلِي أَنَا مَنْ جِئْتهم لَيْســـــوا هنَا.
تَرَكوا الْمَنَازِلَ وَ الْحَرِيمَ وَ هـــاجروا إلاّ أَنَا.
فِي كلِ بَيْتٍ غَادة عَذْرَاءَ تَفْضَح سِتْـــــرَنَا.
كَمْ وَلْوَلَتْ فِي اللَّيْلِ تَطْلب نَجْدَةً مِمَّنْ دَنَا.
لَكِنَّهَا غصبَتْ كَبَيْروتَ فَصَاحَتْ وَيْلَـــــنَا.[1]

و لم ينس أن يصور لنا ما كان يلحق الفلسطينيين من قهر وعنت في لبنان، من جراء التحالفات المضادة و الاعتداءات المتكررة من هذه الطائفة أو تلك، فصور الأحداث المختلفة و الخروقات المتكررة من القوات المتحالفة مع الكيان الإسرائيلي على المخيمات.[2] كما صور لنا تلك المحاولات الرعناء لقتل الفلسطينيين العزل بشتى الطرق من قبل إسرائيل في داخل الأراضي المحتلة، مثل محاولة تسميم قرية جنين في الضفة الغربية.[3]

---

[1] أحمد معاش، مع الشهداء، ص 232.
[2] أنظر، م.س، ص 241.
[3] انظر، م.س، ص 247.

ويتعجب الشاعر، أحمد معاش من العرب كيف انصرفوا عن قضيتهم الوجودية ومعركتهم المصيرية مع الصهاينة في فلسطين، ويدخل بعضهم في حروب لا تزيد الأمة إلا ضعفا وهوانا، ماذا لو وجهت إلى صدور الأعداء، أما كانت أنفع:

وَنَقول باللّه أيْنَ كَـــــرَامَة وَلَقَدْ أذَلَّ الْمعْتَدونَ حِمَـــانَا
وَنَقول يَا للّه أيْنَ عـــــروبَة وَ الْقدْس تَنْدب حَظّهَا الأَسْوَانَا
وَ نَقول باللّه أيْنَ الْمسْلمونَ وَنَارَهمْ تَسْتَهْدف الأَوْطَـــانَا
أَوَدوا بقدْسٍ ثمّ لُبْنَانَ الْفدَى وَ الْيَوْمَ تَضْرب كَرْبَلاَءَ إيْرَانَا
وَتَرد طَهْرَان بكســـــلٍّ قَذيفة عَمْيَاءَ تَحْرق أخْتَهَا بَغْـــــدَانَا[1]

وأي قوة تبقى للعرب و المسلمين بعد أن يحرق بعضها بعضا ؟ ذلك ما كان يخشاه الشاعر على الأمة كلها. عربا ومسلمين.

وبعد الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية بالجزائر في تاريخ 15 نوفمبر 1988م ساندها الجزائريون لكن الشعراء ظلوا ينتظرون أن يتحقق الحلم على الأرض و في الواقع الفعلي وتغنوا بالتحرير الكامل للقدس ولبقية الأراضي العربية. في هذه السنوات نجد معظم الشعراء الجزائريين يدعون إلى العودة رغم كل الصعاب و العراقيل التي كانت توضع أمام القضية الفلسطينية. يقول الشاعر عثمان لوصيف.

كَمْ طَوَّفَتْ فِي لَيْـــــــلِ الْيَتَامَى

[1] م.س، ص 24.

وَتَفَحَّمَتْ الـــمآسي وَ الْظلاَمـــا
كَمْ أَنا خَوَّضْت فِي الْبَحْرِ الْحـــدَادْ
وَتَفَيَّـــأت بَســـاَتِينَ الـــرَّمَادْ
كَمْ تَسَرْبَلـــتْ أَعـــاَصِيرَ الْجنونْ
وَ تَمـــــرَّغَت عَلَى جَمْرِ الْمَنونْ
ثُمَّ حِينَ اكتَمَلـــتْ زَنْبقَة الْعـــشْقَ
بعـــيْنَيْكِ نَهَّـــــــــضْت
وَعَلَى جـــرَاحِ الْمَوَاوِيلِ مَشَيْت
وَأَنا الْيَوْمَ بِرَغْمِ السُّمِ وَ الْطَّاعونِ آتْ
أَزْرَع الأَرْضَ بِنورِ الْمعْـــجِزَاتْ
أَنـــــــــــا آتْ ...
أَنـــــــــــا آت[1]

غير أن تخاذل ومتاجرة بعضهم بالقضية، وتركهم الشعب الفلسطيني وحيدا يخوض المعركة منفردا، بعد أن كانت القضية هي قضية العرب و المسلمين جميعا. نجد الشاعر أحمد شنه يصل به الغضب و الحنق على هذا الوضع المزري إلى اعتبار كل القبائل المحيطة بفلسطين صاروا يهودا.{و العهدة عليه}، فلم الملامة و لم التحسر و البكاء ؟ يقول :

سَنخْرِجهـــــمْ مِنْ كِتَاب الْقِـــــراءَة

[1] عثمان لوصيف، إرهاصات، ص 41-42.

مِنْ أَرْضِ يَثْرِبَ مِنْ رَبْوَةِ الْقدْسِ مِنْ كلِ شِبْرٍ
سَنخْـرِجهـــمْ مِنْ خيـــــــــــامِ أميَهْ
مِنْ رَمْـــــلِ خَيْبَرَ مِنْ مَهْبَطِ الأنبيـــاء
سَنخْرجهـــمْ إنْ أَرَادوا الْخـــــــــروجْ
وَ لَكِـــنْ تَمَهَلْ ... وَحَدِّقْ مَعِي فِي الوجوهْ
فَكـــــــــل الْقَبَائِلِ صَـــارَتْ يَهودْ ...[1]

وقد نعذر الشاعر في غضبه وحنقه على العرب، و هو الحساس المرهف الذي يرى ويدرك ما لا ندركه نحن الناس العاديين؛ حين يرى اليهود تغلغلوا في حياتنا، بل في أدق تفاصيل حياتنا : كتاب القراءة، أرض يثرب، ربوة القدس، خيام الأمية، خيبر. و الأنكى من ذلك كله أن بعض الأعراب يفرحون لذلك إلى درجة أن اليهود ربما لا يقبلون الخروج {سنخرجهم إن أرادوا الخروج} ويبلغ التأزم عند الشاعر مداه حين يقول : {فكل القبائل صارت يهود} ربما يقصد الشاعر بالفكر و التعبير لا بالجنس أو العرق.

وتشاء الأقدار وتنطلق الانتفاضة الأولى في 1987/12/09، زادها الحجارة وجنودها الأطفال و الشباب الغض، فهلل الشاعر الجزائري لهذا الحدث الجبار واعتبره تحولا عظيما في تاريخ القضية، وراءه ما وراءه من الأسرار و التوقعات و الآمال والطموحات :

فِي مَوْطِنِ مـــلّ السجو ن تَحْتَ خَيْمَاتِ الْمـــرَارَة

[1] أحمد شنة، طواحين العبث، ص 53.

يَا أَيُّهَا الْجِيلُ الـــــذِي هَزَمَ الْجَحَافِلَ بِالْحِـــجَارَةْ
كَاللَّيْثِ يَظْهَرُ فِي الصِّعَا بِ وَ لَيْسَ يَظْهَرُ فِي الْصَّغَارَةْ
الْمُنْشِدُ الْجَوْزَاءَ بِالأَحْيَا لِ كَارِهـــــةَ الْغـــرَارَةْ
إِنَّ الْجِـــهَادَ إِذَا أَتَى دَكَّ الثَّوَابِتَ مِنْ حَـــرَارَهْ[1]

وتباهي الشعراء بالحجر، واعتبروه في هذه السنوات أغلى من الذهب والماس في أيدي أطفال الانتفاضة، أولئك الذين أصبحوا رمزا للرفض و الركون للوعود الكاذبة و الأماني الخلابة الخادعة، من هذا المحفل الدولي أو ذاك. لذلك كله، وصف عبد الرحمن عزوق ذلك وأحسن في الوصف حين قال :

وَ أَحْمَلُ قِطْعَةَ حَجَـــــر كَبِير وَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ يضَاءْ
وَأَحْسَنُ كُلِّ شَيْءٍ كلّ صَخْر كَبِيرٍ قَدْ هَوَاهُ مَعِي الْعلاَءْ
وَ إِنَّ الْمَوْتَ أَطْيَبُ مِنْ زَمَانٍ يَسود بِهِ الْصَّهَاينَة الإِمَاءْ[2]

في هذه السنوات، نجد الشاعر الجزائري أصبح مؤمنا أكثر من ذي قبل بقرب قيام الدولة الفلسطينية من رحم الداخل، قبل قرار الخارج في أرض الشتات، وأن العناصر المكونة للدولة التي روج عنها من قبل المرجفون هنا أو هناك، أنها قد تلاشت و اندثرت، فلا أمل في قيام دولة خاصة بفلسطين. فقال أحمد شنه مسفها تلك الأراجيف فقال :

سَنَعود مِنْ شَجَرِ الْجَلِيلِ قَصَائِدًا وَحَرَائِقًا سَنَعـــــود لَيْلاً قَائِمًا
وَ سَنَحْمِلُ الْمِعْـــرَاجَ فِي أَشْلاَئِنَا وَنَعود مِنْ شَفَقِ الخَلِيلِ مَلاَحِمًا[1]

---

[1] عبد الرحمن عزوق، آفاق في زمن النفاق، ص 43.

[2] م.س، ص 47.

وعلى الرغم مما لاقته الجزائر في العشرية الأخيرة من القرن الماضي {القرن العشرين} من تقلبات واضطرابات وعدم استقرار سياسي وأمني، وما نتج عن ذلك من مآس وويلات، مع ذلك كله، لم ينس الشاعر الجزائري فلسطين أيضا ومأساتها، ولا تخلى عن التذكير بحقوقها وأحلامها وتطلعاتها إذ في رحم الأزمة خلال العشرية الأخيرة من القرن الماضي، يمزج الشاعر بين المأساة الجزائرية في فلسطين فيقول :

يَا مَوْطِنَ الشمِّ هَذِه كَبِـــدي عَانَتْ بِرَوْنَقِهَا الأَدْوَاء وَ الدَّهْـــرْ
الْعَيْن تَسْكب مِنْهَا لِلدنَى نَهـــرًا تَبْكِي لِقَرْحَتِنَا الأَحْبَال وَالْصَّخَرَ
يَا قدْس كَيْفَ أَسْلو أَنْتَ ذَاكِرَتِي لاَ حسّنَ لاَ طَعْمَ إِلاَّ أَنْتَ يَا نَضِر[2]

ثم يمضي الشاعر يسأل في حزن وحسرة عن المدن الفلسطينية رمز الصمود و الإباء و الشموخ و التحدي في وجه الهجمة الإسرائيلية الشرسة :

أَيْنَ الْخَلِيل وَ أَيْنَ الْقدْس يَا زَمَنِي وَ أَيْنَ الْجَلِيل عَفَتْ وَ الْعَرْب مَا اعْتَبَروا[3]

فالشاعر ما زال يعتبر المدن التي احتلت في 1948 مثلها مثل المدن التي احتلت في أعقاب النكسة في جوان 1967. ما زال يعتبرها قطعة واحدة لا فرق بين هذه وتلك.

وفي الانتفاضة الأخيرة {2000/09/28}، التف حولها الشعراء العرب ومنهم الشعراء الجزائريون، ورثوا الشهداء وحثوا على مواصلة الكفاح واستنهضوا

---

[1] أحمد شنة، زنابق الحصار، ص 20.
[2] الأطلس، ع 33- نوفمبر 1993.
[3] م.س

الهمم، ومن أبرز من رثوا الشهيد محمد الدرة الذي أصبح رمزا. الشاعر صالح سويعد :

سَقَطَ الْشَّهيد عَلَى الْشَّهيد وَ مَا رَمَوْا ... وَ بَقيتَ وَحْدَكَ بِالْتَّوَهجِ تَـرْجم
طِفل تَفَجـــرَ قَلْبه وَ ضَمـــيره ... فاسْتَنْفرْ الْطِّفْل الأبي يَتَرْجـــم
طِفل يدَافع عَن سلاَلَة أمَّـــــة ... وَ الْمرْجفونَ الْمرْجفَات اسْتَسْلَموا
وَ يَضمه حَجَر الْشَهَامَة ضَمـــةً ... لَبَيْكَ يَا حَجَرَ الْخـلود سَأقْدم
قَدْ بعْت شَمْسَ نعومَتي وَ طفـولَتي ... وَ تَرَكْـت أَلفَ حَبيبَة تَتَألَـم
وَتَرَكـــتْ أَجْمـــلَ بَاقَة وَهَديَةً ... وَ رَحَلـــتْ فيكِ مَسَافَةً تَتَكَلَّم
أمَاه لاَ تَتَوَقفي وَ لَتَرْحـــفي ... بِأَخٍ حـــرونٍ مِنْ وَ رَائي يَحْرِم[1]

إنه الإصرار على مواصلة الجهاد بأخ شهيد آخر وآخر وآخر، لأن الدرب طويل وطريق الحرية يحتاج إلى قوافل من الشهداء أمثال محمد الدرة.

أما الزبير دردوخ فيذهب إلى أن الشهيد محمد الدرة بشهادته تلك قد أعطى للأمة العربية و الإسلامية درسا لا ينسى تلك الأمة التي ظلت متعلقة بأوهام عملية السلام التي لم تجد المسيرة فيها شيئا مذكورا.

فقال :

طِفْل يدَافع بَالْحـــجَارَة عَالَمًا ... لَمَّا رَأى الأَقْصَى يبَاع وَيُشْتَرَى
طِفْل يَرَى مَالاَ يَرَاه الْحَاكمو ... نَ وَ هَلْ رَأَوْا إلاَّ سَرَابًا أَخْضَرَا
طِفْل يرُثّق أُمَّةً مَغْشـــوشَةً ... بِدمَائِه، مستَبْشرًا وَمبَشـــرًا

[1] الجائزة ع 03، نوفمبر 2000، ص 11.

طِفْل يَشد عَلَى الثَّرَى بِدِمَائِه كَيْ لاَ يَبِيع الْحَاكِمونَ الْمِشْعَرَا[1]

في هذه السنوات الأخيرة من القرن الماضي {1982م-2000م}. استبشر الشعراء الجزائريون بقيام الدولة الفلسطينية وتمنوا أن تكون على أرض الواقع المحسوس. وعلى الرغم من المحنة التي عرفتها الجزائر فإنها لم تنسى القضية الفلسطينية، وساند شعرائها الانتفاضة الأولى وتفاعلوا و أيدوا الانتفاضة الثانية، باركوها ورثوا شهدائها، واعتبروها الفعل الصحيح وانتقدوا عملية السلام التي لم تثمر شيئا مذكورا لحل القضية الفلسطينية حلا جوهريا.

الخاتمة

نخلص في الختام من خلال هذه الجولة السريعة في الشعر الجزائري الحديث، إلى أنه لا توجد قضية واحدة من القضايا العربية و الإسلامية تناولها الشاعر الجزائري إلى جانب قضاياه الوطنية و الدينية و الاجتماعية بالقدر الذي تناول به القضية الفلسطينية، بكل أبعادها وتشعباتها على مستواها الداخلي أو الخارجي. ذلك لأنها من القضايا التي كانت تسيطر عـــلى شعـــوره، وتتبوأ مركز الصدارة ضمن اهتماماته القومية المتعددة. قضية تناولها أجيال من الشعراء على اختلاف رؤاهم ومذاهبهم الفنية، محدثين ومعاصرين، وخلدوا بذلك صفحة ناصعة في تاريخ الشعر الجزائري الحديث ستظل شاهدا صادقا على صدق العواطف وصلابة الانتماء وعمق الوعي ووضوح الرؤيا و الأهداف عند الشعراء الجزائريين في القرن العشرين الميلادي.

---

[1] ديوان الشهيد محمد الدرة، مؤسسة حائزة البابطين ج2، ص 451.